

المسائل التالية هي التي كانت محل خلاف بين الإباضية والخوارج

1- مسألة الخروج:

المبدأ الذي أعلنه نافع بن الأزرق يشير إلى أن الخروج أو الهجرة إجباريان لفرقة، واعتبر أن دار خصومهم المسلمين (المخالفين لهم) هي دار حرب، واعتبر أولئك الذين لا يخرجون للحرب أي القعدة [كذا] هم عبدة أوثان بنص الآية القرآنية (... وإئن أطعتموهم إنكم لمشركون)⁽¹⁾، هذا المبدأ يناقض المبدأ الذي سارت عليه المحكمة من حيث أن خصومهم المسلمين هم ببساطة كفار، وليسوا بمشركين وأن أتباع فرقة المحكمة يمكنهم العيش وسط خصومهم، وشرعوا لهم القعود دون إلزام بالخروج أو الهجرة، وفي واقع الأمر فإن زعماء المحكمة الأوائل قد كانوا أكثر وضوحاً فيما يختص بمسألة القعود، وأقرُّوا بأنَّها حق شرعي لأتباعهم، وقد ذهبوا في ذلك إلى المدني الذي بايعوا فيه عبد الله بن وهب الراسبي إماماً وفضلوه على معدان الإيادي⁽²⁾؛ لأنَّه قال: ⁽³⁾ إن الإباضية يحافظون على عقيدة ⁽⁴⁾ المحكمة الأوائل ويرفضون بشدَّة ري نافع كما يؤكِّنون أن كلتا الفرقتين التاليتين أولئك الذين يظهرون الجهاد، أولئك الذين لا يبدون أي حركة أو نشاط أو ما يسمون بالقعدة كلُّهم مسلمون وهؤلاء يناصرون أولئك الذين يظهرون الجهاد ويؤيدون باعقادهم كما أن المذكورين أخيراً يعفون عن عجز أولئك الذي يبدون حركة أو نشاط⁽⁵⁾، هذا المبدأ قد تمَّ التعبير عنه فيما

-
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 2 - وجد في الأصل مسطر.
 - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 4 - وجد في الأصل على الهامش: «هذه ترجمة تعدَّر الحصول النص الأصلي».
 - 5 - موضوع الإحالة غير موجود.

بعد في إطار الحديث الشريف عن رسول الله (ص)⁽¹⁾: (لا هجرة بعد الفتح)، وقد استعمل هذا النص إجمالاً في معظم كتابات الإباضية في العقيدة للتعبير عن لأئهم في مسألة الهجرة أو الخروج⁽²⁾.

2- معاملتهم لخصومهم المسلمين، المخالفون لهم: الأزارقة يعتبرون مخالفين مشركين، وعلى ذلك ديارهم دار حرب، ويحطون قتل نسائهم وأطفالهم أو أخذهم أسرى وسلب أموالهم، ومن ناحية أخرى منع الأزارقة أتباعهم من أن يرثوا خصومهم أو أن يتزوجوا منهم، كما ولهم الحق في إنكار حقهم في ودائعهم ومصادرتها⁽³⁾.

هذه المبادئ التي أقرها الأزارقة وطبقوها في تعاملهم مع خصومهم من المسلمين اعتبرها الإباضية ضلالات، ذلك لأن الأزارقة قد عارضوا آراء المسلمين وخرقوا سيرتهم، ولقد قام كل من جابر بن زيد وعبد الله بن إياض بدحض تلك المعتقدات وأعلننا براعتهم منها⁽⁴⁾، وسلكا المسلك نفسه تجاه جماعات الخوارج الأخرى كالصفورية والنجدة وغيرهما، هذا على الرغم من أن جماعة النجدة تخالف الأزارقة في بعض المبادئ.

إلى ذلك رأي الإباضية أن ما ذهب إليه نافع وبعض الخوارج هو قطعاً بدع خطيرة، فاعتزلوا جماعاتهم وفندوا⁽⁵⁾ معتقداتهم؛ بل وحاربوهم⁽⁶⁾، وسيرة سالم بن زكوان هي من بين الوثائق الإباضية القديمة التي تناولت مسألة غلاة الخوارج وآرائهم، هذا ولعل من المفيد هنا رصد آرائه في هذا الموضوع؛ لأنه يمثل رأي عالم إباضي بارز وكان معاصراً للخوارج، هذا إضافة إلى أن رأيه يعبر عن وجهة النظر العامة للإباضية حول الخوارج.

-
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 5 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 6 - موضوع الإحالة غير موجود.

لقد بدأ سالم بن زكوان سيرته ببيان تفصيلي عن مسار الدين الإسلامي منذ بداية نزول الوحي حتى حقبة علي بن أبي طالب خليفة المسلمين الرابع قبل موافقته على التحكيم، وبعد ذلك تخلى زعماء المحكمة وأتباعها عنه وذهبوا في طريقهم يسعون لإقامة شرع الله على الأرض حسبما كانوا يرون أنه الحق وأرواحهم فداء لذلك، وأورد ابن زكوان⁽¹⁾ الموجز التاريخي التالي عن المحكمة واللاحقين من أتباعهم ووصف سيستهم وسيرتهم كما يلي:

ثم تتابعت على ذلك خوارج المسلمين يحكمون الله وحده ويرضون سبيل من مضى قبلهم من المسلمين لا يقتلون ذرية قومهم يستحلون فروج نسائهم ولا يستعرضونهم ولا يخمسون أموالهم يقطعون الميراث منهم ويؤدون الأمانة إليهم وإلى غيرهم، ويوفون بعهودهم ومن غيرهم ويأمن عندهم الكاف والمعتزل من قومهم من غير أن يكونوا يشكون في ضلالتهم ولا تخاذلهم بين الحق والباطل منزلة، وليس بعد الحق إلا الضلال، ويصلون الرحم، ويعرفون حق الجار، والصاحب واليتيم وابن السبيل، وما ملكت أيمانهم، ويتولى ماضيهم وقاعدتهم لماضيهم الفضيلة التي أعطاه الله، يتحابون بحب الله ويتولى بعضهم بعضا ابتغاء مرضاة الله ويواسي غنيهم فقيرهم ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، إذا مضت منهم طائفة تركوا لمن خلفهم من أوليائهم على عدوهم الحجة الثابتة عند نوي العقول، والعلم بأمر الله فمضى على ذلك بشر كثير من المؤمنين⁽²⁾.

ثم بدأ ابن زكوان في توضيح الطريق الذي سلكه الأزارقة ومواقفهم كما يلي:

ثم⁽³⁾ خرج من بعدهم ابن الأزرق وأصحابه فمكثوا ما شاء الله يسيرون بسيرة من كان قبلهم من الخوارج، ثم إنهم حرمهم شأن قوم أن أنزلوهم بمنازل عبدة الاوثان فقطعوا الميراث منهم وحرموا مناكحتهم وقد ناكحهم من يتولون ووارثهم، فإن يكن ذلك هدى وعمل به من يتولون فقد خالفوهم

1 - كذا في الأصل، ولعل الصواب: «زكوان».

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - وجد في الأصل: «المرجع».

فيه ودانوا اليوم بالبراءة مِمَّن عمل به وإن يكن ذلك ضلالة ضلُّوا بتولييتهم من عمل به، واستحلُّوا سبا قومهم واستكاح نسائهم وخمس أموالهم وقتل ذراريهم واستعراضهم ولم يكن من يتولون يستحلون شيئاً من ذلك من قومهم فإن يكن الذي عمل به من يتولون من قولهم هدي فقد خالفوهم وأبوا أن يجيروا من استأجرهم من قومهم حتَّى يسمع كلام الله وهم يشهدون أنَّهم بمنازل عبدة الأوثان.

وقال الله لنبيه: {وإن أد من المشركين استأجرك فأجره حتَّى يسمع كلام الله ثمَّ أبلغه مأمنه ذلك بأنَّهم قوم لا يعلمون} (١).

فقالوا: قد سمع قومنا كلام الله فلا نجبرهم، فقد سمع المشركون الذين أمر الله بجوارهم كلام الله، فقالوا: قد سمعنا لو تشاء لقلنا مثل هذا، {وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون}، وقالوا: {آيت بقرآن غير هذا أو بدله} ثمَّ أجارهم نبيُّ الله كما أمره وجعلوا للقوم محبةً، وأبوا أن يقبلوا مِمَّن أتاهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإقرارهم بحكمهم، وهم يزعمون أنَّه حكم الله... وبرئوا من كلِّ أعرابي، وإن كان يتولاهم ويشهد لهم بالحياة ويسأل الله أن يرزقه مثل الذي رزقهم من جهاد أعدائه، وقد قال الله: {ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتَّخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألاَّ إنَّها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إنَّ الله غفور رحيم} وكفَّروا قعدتهم واستحلُّوا دمائهم وأموالهم وحرَّموا ولايتهم والإستغفار لهم وقد علموا ذلك منهم فإنَّ يكف ذلك هدى عمل به من يتولون تولَّى كافراً فقد كفروا 'هم بولايتهم إيَّاهم على تولي الكفار فزعموا أنما يكفرون فعذبهم بكفرهم أيَّاهم دونهم وقد أمرهم الله أن يثوبوا' (١) ثمَّ يتابع بن زكوان فيناقش رأي الأزارقة فيما يخصُّ مبدأ التَّقية فيقول:

- فقد مكث مؤمن آل فرعون ما شاء الله أن يمكثَ كاتباً إيمانه فلم يردده الله عليه بكتمانه إياه وقد قالَ الله: (لايتخذ المومنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلاَّ أن نتقوا منهم تقاءً) فحرض الله المؤمنين في التَّقية وكيف يتَّقي المؤمنون الكفار إلاَّ بأنَّ يظهرُوا

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

لهم ما يحبون ويكتموهم دينهم مع أنهم إذا خرجوا كانوا أكتم ما كانوا قطً لدينهم وذلك الرجل يأتيهم فيقول: أعرضوا عليّ دينكم فيقولون: لا ولكن أخبرنا أنتَ به فإن أخطأ شيئاً ممّا في أنفسهم قبلوه في [...] من المعاصي ليس كلّها تحصي من استحلال أكل الأمانات التي أمر الله بالوفاء بها و أوفى بها المؤمنون ويشهدونهم أن النفاق قد رُفِعَ وإن أحداً لا يستطيع أن يكون منافقاً ويشهدون أن الله يغفر للزاني والسارق صحابة تجبرُ من النفاق أجارت صحابة نبيّ الله إن قبلوا دعاهم إليه من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهو الإسلام {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين} بعد ذلك يتطرقُ ابنُ زكوان لآراءِ نجدة أتباعه داحضاً مبادئهم الزائفة التي نكرَمنَ بينها على سبيل المثال :

(أ) بينما يعتبرون مخالفينهم من المسلمين مشركين فإنهم في الوقت ذاته يتزوجون منهم ويأكلون ذبائحهم , ومنعوا أخذ الجزية منهم , واستوفوا لهم ما يستوفيه مخالفوهم المسلمون من حقوق لأصل الدّمة , هذا على الرغم من أنهم يعتبرون المسلمين المخالفين لهم هم من المشركين .

(ب) - إعتقدوا بضرورة الهجرة من دار مخالفينهم المسلمين كما هاجر الرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكّة

ويشيرُ ابنُ زكوان إلى أن داوود وجماعته قد أنكروا آراء ومعتقدات النّجّادات ووافقهم على ذلك عطية وجماعته وأبو فديك وجماعته حيث لم يوافقوه على نقاطٍ معينةٍ واتّهموه بأنه على ضلالٍ بشأنهم ثمّ فارقه داوود وأصحابه وعطية وأصحابه وأبو فديك وأصحابه في أمورٍ نقموها عليه وزعموا أنّه قد ضلّ بها وليس الذي فارقه فيه بأكثر من الذي جامعوه عليه :من سبي أهل القبلّة وقتل ذراريهم واستكاح نسائهم وخُمس أموالهم واستعراضهم وقطع الميراث منهم فكّلهم بحمد الله ضالّ تاركٌ للحقّ تابعٌ لهواه بغير هدى من الله وهم في ذلك معترفون فيما بينهم , وأشار ابن زكوان إلى مبادئٍ أخرى خاطئة تميّز بها أولئك أمثال نافع وداوود وعطية وأبوفديك وأتباعهم.

هذا ولقد وردت معلومات مماثلة في مصادر تاريخيّة إياضيّة أخرى

تناولت هي أيضاً التعاليم والمبادئ التي ابتدعتها الخوارج الغلاة بالإضافة إلى مناقشة آرائهم ودحضها بشدة استناداً لما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة وفي آثار السلف الصالح الذي اتبعه المسلمون الأوائل والمحكمة ، وبجانب ذلك فقد اهتم الأئمة الإباضية المتقدمون بأن تكون سياساتهم واضحة جداً تجاه تلك المسائل ، إذ عندما سأل عبد الله بن يحيى الكندي أئمة الإباضية في البصرة مسألة الثورة على الحاكم فقد كتب إليه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة ثاني أئمة مجتمع الإباضية في البصرة وشاركه في الكتابة إليه رفقاً من أهل العلم يقولون له: (إذا خرجتم فلا تغلوا ولا تغرؤوا واقتدوا بسلفكم الصالحين وسيروا سيرتهم فقد علمتم أن الذي أخرجهم على السلطان العيب لأعمالهم).

أمّا الخطوط العامة لسياسة الإباضية فيما يتعلق بصلا تهم وتعاملهم مع بقية المسلمين فقد عبر عنها عبد الله بن إياض في بيانه المشهور حيث قال: «لا نقول فيمن خالفنا إله مشرك لأنّ معهم التوحيد والإقرار بالكتاب والرسول ، وإنّما هم كفّار للنعم ومواريتهم ومناكيحهم والإقامة معهم حل ودعوة الإسلام تجمعهم».

هذا البيان أكّده وكرّره المؤرّخون والكتّاب الإباضية الذين عاصروا ذلك الجيل الأوّل كسالم بن زكوان وعبدالله بن يحيى الكندي وأبو حمزة المختار بن عوف.

عبد الله بن يحيى الكندي أوّل أئمة الإباضية بحضرموت واليمن قال في كتاب تقويضه لعبد الله بن محمد أحد ولّاته: «نحن لا نشدّ طريق القوم ولا نقتلهم بمجرد الاطّلاع عليهم من غير أن ندعوهم أوّلاً إلى إدراك الحقيقة؛ ولكنّا ندعوهم إلى الحقيقة نفسها؛ فهو إذا أقرّ بها فإنه يتمتع بكلّ ما يتمتع به المسلمون (الإباضية) ويكون خاضعاً لكلّ العهود والالتزامات التي يفرضونها عليه؛ ولكن الذي ينكرها ويقاقلنا نقاتله، ونطلب من الله التأييد والتوفيق للانتصار عليه».

ومبدأ دعوة الناس وإعطائهم فرصة لفهم آراء الإباضية وانتضارهم لإقرار وتحديد توجّههم أوّلاً هو مبدأ عبر عنه الإباضية مراراً وتكراراً ولقد

أعلنوا دائماً وبوضوح أنَّهم يقاتلون أعداءهم فقط عندما يبادرهم عدوهم بالحرب أولاً؛ والأمثلة التطبيقية العملية لهذا المبدأ الإباضي تتجلى باستمرار في كلِّ حقبة تاريخهم؛ بينما تظل سياسة قتل الخصوم دون سابق إنذار وهي السياسة المعروفة بالاستعراض تظل ظاهرة مميزة لفرقة الأزارقة في كلِّ أزمانهم ولقد كانت تلك الظاهرة أحد الأسباب الرئيسية التي دفعت بالإباضية للاعتراض على الأزارقة ومواجهتهم وبقية الخوارج المتطرفين ورفض عقائدهم وتوجهاتهم الأخرى المتطرفة التي ينظرون من خلالها إلى خصومهم المسلمين على أنَّهم مشركون ذلك الاعتراض وتلك المواجهة ممَّا تنبَّاه وأطلع [كذا] به الإباضية قد عبر عنه وفي صور مختلفة عبد الله بن يحيى وأبو حمزة المختار وسالم بن زكوان في مواقف عديدة؛ لقد كتب عبد الله بن يحيى يقول: «هذه هي سيرتنا فنحن لا نهذِّدهم لنجبرهم على السلام، ولا نربص بهم ولا نعاقب البريء نيابة عن المذنب ولا الصالح بدلاً من الطالح ولا المرأة نيابة عن الرجل ولا الصغير نيابة عن الكبير ولا نقتل المذنبين من غير دعوتهم وإرشادهم إلى الحقيقة أولاً وجعلها واحة أمامهم». كما وكتب أيضاً في نفس خطابه يقول: «من يقاتلنا قاتلناهم بالمثل ونعالين أملاكه من أجل أن تعود إلى أصحابها، أولئك الذين يحمل حقوقهم ونسلم إليهم ما يمتلكه بسبب أنَّه لم يسبِّب أيَّ إساءة لأيِّ أحد ونوصله إلى أحفاده وورثته ولا يمكن أن تؤخذ الغنائم والأسرى من أهل القبلة وهم كذلك لا يعدون كمشركيين الذين تغنم أموالهم وتؤسر نساؤهم وأولادهم ولكن أهل القبلة على فريقين:

- فريق يدعو إلى ما هو حقٌّ مؤمن به إيماناً راسخاً.

- فريق يدعو إلى الظلم والجور ويصر عليه»⁽¹⁾.

وأبو حمزة المختار بن عوف كان من بين الإباضية المشهورين في البصرة، ثمَّ أصبح أهمَّ القادة العسكريين للإمام عبد الله بن يحيى الكندي في حروبه ضدَّ الطغيان الأموي؛ لقد قال أبو حمزة مخاطباً المسلمين في المدين المنورة: «أيُّها الناس إنَّنا نخيركم في ثلاث خلال أيُّما شئتم فخذوا لأنفسكم،

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

رحم الله امرأ أخذ الخيار لنفسه، إمّا قائل بقولنا ودائن بالذي قلناه حلمته نيته على أن يجاهد معنا بنفسه فيكون للمجاهد منّا ومن قسم هذا الفيء ومالاً، وعارف بهذا الأمر مقيم في داره يدعو إليه بقلبه ولسانه فعسى أن يكون أحسن منزلة منّا؛ وثالث كره قولنا فليخرج آمنّا على أهله وماله ويكف عناده ولسانه فإن ظفرنا ولم يعرض نفسه لم نسفك دمه وإن نحن قتلنا كان قد كفى موتنا وعسى أن لا يعمر في كفره إلا قليلاً...»⁽¹⁾.

ملاحظة: صفحة 56 مشطبة؟؟؟

النص الأصلي:

(نرى حقّ الوالدين وحقّ ذي القربى وحقّ اليتامى وحقّ المساكين وحقّ أبناء السبيل وحقّ صاحب وحقّ الجار وحقّ ما ملكت أيّماننا علينا حقّاً أبراراً كانوا أو فجّاراً ونؤدي الأمانة إلى من استأمنّا عليها من الناس كلّهم من قمنا أو من غيرهم ونوفي بعهود قومنا من أهل الذمّة ونرتض على أهل الذمّة - إن استطعنا - الذي يأخذونهم به من الظلم من قومنا أو من غيرهم ونجير من استأجرنا من قومنا ومن غيرهم حضرة القتال الكاف المعتزل حتّى يخلو إليهم الأمر من غير أن نكون نشك في ضلالتهم ولا نخاذهم بين الحقّ والباطل منزلة وليس بعد الحقّ إلاّ الضلال فإذا أخطى إليهم الأمر دعوناهم إلى كتاب الله ومعرفة الحقّ وموالاته أهله ومفارقة الباطل ومعاداة أهله فمن عف منهم الحقّ وأقرّ به وتولّانا عليه تولّيناه وحرّمنا دمه وإن ينفر معنا، ومن أنكر حقّ الله منهم واستحبّ العمى على الهدى وفارقة المسلمين على مجامعتهم فارقناه وقاتلناه حتّى يفيء إلى أمر الله أو يهلك على ضلّاته من غير أن يكون نراهم نزلوا منازل عبة الأوثان فنستحلّ سباهم وقتل ذراريهم وخمس أموالهم وقطع الميراث منهم، ولا نرى الفتك بقومنا وقتلهم في السرّ وإن كانوا ضلالاً ما دمنا بين ظهرائهم نظهر لهم الرضى بالذي هم عليه و ذلك أنّ الله لم يأمر به في كتابه ولا نعلم أحداً ممّن مضى محمّد بن أولياء الله في الأمم الماضية استحلّ شيئاً من ذلك وهو بمثل منزلتنا

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

فنفتدي بسنتهم في ذلك ولم يفعله أحد من المسلمين مِمَّنْ كان بمكة بأحد من المشركين فنفعله نحن أهل القبلة!).

(فقد أمر الله نبيه أن ينبذ إلى من خاف منه خيانة فقال: {وإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} (سورة الأنفال: 58) ويكره أن يتكلف أحد من المسلمين مع ملوك قومه ما كانوا على ضلالتهم وذلك أَنَّ الرجل المسلم إذ هو غزا معهم فدعاهم إلى طاعتهم إِنَّمَا يدعوهم إلى طاعة قوم يشهد إِنَّهُمْ كُفَّارٌ فلا ينبغي له أن يدعو الناس إلى طاعتهم فَإِنْ أَجَابُوهُ إِلَيْهَا بَرِئَ مِنْهُمْ وَإِنْ فَارَقُوهُ عَلَيْهَا اسْتَحَلَّ قَتْلَهُمْ إِنَّمَا يصير المقاتل معهم على أحد منزلتين ما على ولايتهم ورضي بأمرهم، وإِذَا عَلَى نصرهم وتسديد سلطانهم ونرى مناكحة قومنا وموارثتهم لا تحرم علينا ماداموا يستقبلون قبلتنا لأنَّ المسمين قد كانوا يناكحون المنافقين ويوارثهم وهم يعلمون ويظهر منهم من المعاصي أكثر ما يظهر اليوم من كثير قومنا ولا نرى أن نقذف أحداً مِمَّنْ يستقبل قبلتنا ثُمَّ لَا عِلْمَ لَنَا بِهِ فَإِنْ كَثُرَ مِنَ الْخَوَارِجِ يَتَحَلُّونَ فِي دِينِهِمْ قَذَفَ مِنْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَرِئَ مِنَ الزَّانِ مِنَ قَوْمِهِمْ بِفِرَاقِهِمْ زَعَمُوا إِيَّاهُ وَلَعَلَّهُمْ لَا يَكُونُوا كَلِمَوْهُ قَطُّ، وَلَا أَخْبَرَهُمْ عَنْهُ أَحَدٌ مِمَّنْ يَتَوَلَّوْنَ أَنَّهُ كَلِمَهُ وَلَا يَدْرُونَ عَلَى مَا هُوَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} مع أن من استحل ذلك منهم لو أن بعض أوليائه دعاه لغير الله لم يستطع ذلك، غير ير إذا كانت أمة من قومها، وإن كان يعلم أمة محصنة لفرجها بريئة مما قذفوها به، ونحن نعلم بحمد الله ونعمته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان يجلد المنافق والمنافقة، وهو يعلم أَنَّهما منافقان قاصران وَإِنَّمَا يَحْمِلُهُ عَلَى ذَلِكَ اسْتِقْبَالُهُمَا لِلْقَبْلَةِ، وإظهارهما تحريم الزنا في دينهما والبراءة مِمَّنْ زعم أن الزنا في دينه حلال، ولا نرى لاستعراض قومنا ماداموا يستقبلون القبلة من قبل أن ندعوهم إلى مراجعة الحق، والأخذ به لأنَّ الله رضي الدعاء لنبيه وأمر به وأهل الإيمان، وقال الله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا} وقال: {أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ

ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين { وقال له: { قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين }، وقال: { ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون }، ثم قال: { ومن أحسن قولا ممن دعى إلى عمل صالحا وقال إنني من المسلمين }.

ولا نرى قتل صغير من أهل قبلتنا لا ذنب له ولم يعمل مِمَّا اختلف فيه، مِمَّنْ يستقبل القبلة بينهم بذنب آخر كبير قد غفل أمر الله وعلم الأمر الذي اختلف الناس فيه ثم جهل بعد العلم وعمي بعد البينة. وإنَّما ذرية من يستقبل القبلة. اليوم في ذلك بمنزلتهم ولو كان عليهم إمام هدي يحكم عليهم بطاعة الله ففارقهم بعض آبائهم، ولا نرى أن يستحلَّ فرج امرأة رجل تزوجها بكتاب الله وسنة نبيه حتَّى يطلقها زوجها أو يتوفى عنها ثمَّ تعتدَّ عدَّة المطلقَة أو المتوفَّى عنها زوجها؛ ونبرأ مِمَّنْ ظهر لنا منه عمل هو لله معصية أو ووعده الله عليه العذاب وأمر بفراق من عمل بذلك العمل والبراءة منه أو يُتولى عليه حتَّى ينزع ويحدث منه توبة ولا نرى أن يتولى أحدا من الناس أحداً إلَّا أظهر لنا منه معرفة حقَّ الله وعمل بطاعة الله وموالاته لأوليائه ومفارقة لأعدائه ولا نرى انتحال الهجرة مندار قومنا كهجرة النبيّ (ص) وأصحابه من دار قومنا، ولكن يخرج منخرج منّا مجاهدا في سبيل الله على طاعته فإن هو رجع إلى دار قومه توليناه إذا كان عارفا لحق الله مقرا به في نفسه وماله ونرى أن نتولى المرأة والمملوك على الخروج إذا ما نحن علمنا منهما قبل الخروج الرضى بالحقّ والمعرفة له والموالاته عليه ولم يخرجهم إلَّا الرغبة في الإسلام والأثرة على ما سواه لأنَّ الله يقول: {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إنَّ الله عزيز حكيم}. ولا نرى النفر من المسلمين أن يبايعوا إمامهم إلَّا على الجهاد في سبيل الله والطاعة بالمعروف حتَّى يهلكوا على ذلك ويظهروا على عدوِّهم فيولوا الأمر أفاضلهم وفقهائهم أنفسهم ونتولى ماضيها وقاعدنا،

ويعرف لماضيها الفضلية التي أعطاه الله⁽¹⁾ اهـ.

تقصص صفحة: 61.

هذه النقاط التي تناولها سالم بن زكوان كما ورد أعلاه، وما استشهد به من أي الذكر الحكيم، لا تمثل الآراء والمبادئ الإباضية حول المسائل التي ناقشها فحسب بل تتضمن رفضا صريحا وحاسما لكل آراء ومواقف الخوارج من تلك القضايا، وقياسا على ذلك يتضح لنا بصورة جلية أن ما احتوت عليه المؤلفات والمقالات الإباضية القديمة فيه دلالة قوية على أنه ليست هنالك ثمة نقطة اتفاق بين الإباضية والخوارج؛ وحقيقة الأمر تختلف الإباضية مع هؤلاء في كل ما ذهبوا إليه من مبادئ وتعاليم. بل سارع الإباضية إلى نقضها من أساسها النظري الذي ابتدعه أولئك الخوارج، وحض أقوالهم وأفعالهم بالحجج والأدلة القاطعة، ونقطة الاتفاق الوحيدة بين الطرفين قد كانت في توافق الطرفين حول المحكمة.

هذا وقد تناولنا رأي الإباضية في الخوارج وحركتهم، فلعله من المفيد أن نتعرف في إيجاز لأرائهم في حكام بني أمية والشيعة ممن عاصروهم، والاختيار الموفق الذي يجمع بين الإيجاز والوضوح في هذا المقصد يقودنا مباشرة إلى ما تضمنته إحدى خطب أبي حمزة المختار بن عوف في المسلمين بالمدينة المنورة، حيث عبّر فيها بجرأة وصدق الداعية عن رأي الإباضية في الفئتين المذكورتين. فلقد تحدث في خطبته تلك عن أفعال الأمويين واحدا تلو الآخر بدأ من معاوية وانتهاء بيزيد بن عبد الملك، وأخبر عن حكمهم وسلطانهم فقال:

«ياأيها الناس إنَّ الفسقة بني أمية سلطانهم سلطان ربوبية، وبطشهم بطش جبرية، يأخذون بالظنة ويحكمون بالهوى، ويقتلون بالغضب، ويعفون بالشفاعة ويؤمنون الخائن، ويقضون ذوي الأمانة، ويأخذون الصدقة على غير فريضتها ويضعونها في غير موضعها، وقد سمى الله أصحابها فجعلها

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

بين أصناف ثمانية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (التوبة: 60)؛ فأقبل صنف تابع ليس منهم فأناخ بين ظهرانيهم، فقال الأرض أرضنا والمال مالنا، والناس حولنا، فأخذها كلها، فتلك هي الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله»⁽¹⁾.

وعن فرقة الشيعة قال أبو حمزة قولته الصريحة:

«وَأَمَّا إِخْوَانُنَا مِنْ هَذِهِ الشَّيْعَةِ فَلَيْسُوا بِإِخْوَانِنَا فِي الدِّينِ، لَكِنْ سَمِعْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾، شَيْعَةُ ظَارَةِ بَكْتَابِ اللَّهِ وَأَعْلَنْتِ الْفَرِيَّةَ عَلَى اللَّهِ، لَا يَرْجِعُونَ إِلَى نَظَرٍ نَافِذٍ فِي الْقُرْآنِ وَلَا عَقْلٍ بَالِغٍ فِي الْفَقْهِ وَلَا تَقْتَنَشُ عَنْ حَقِيقَةِ الصَّوَابِ قَدْ قَلَّدُوا أَمْرَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ وَجَعَلُوا دِينَهُمْ عَصَبِيَّةَ لِحِزْبٍ لَزَمُوهُ وَأَطَاعُوهُ فِي جَمِيعِ مَا يَقُولُهُ لَهُمْ غِيًّا كَانَ أَوْ رَشْدًا أَوْ ضَلَالَةً أَوْ هَدًى يَنْتَظِرُونَ الدَّوْلَ فِي رَجْعَةِ الْمَوْتَى، وَيُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ قَبْلَ السَّاعَةِ وَيَدَّعُونَ عِلْمَ الْغَيْبِ لِمَخْلُوقِينَ لَا يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ مَا فِي دَاخِلِ بَيْتِهِ بَلْ لَا يَعْلَمُ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ ثَوْبُهُ أَوْ يَحْوِيهِ جَسَمُهُ، يَنْقِمُونَ الْمَعَاصِيَ عَلَى أَهْلِهَا وَيَعْلَمُونَ إِذَا ظَهَرُوا بِهَا وَلَا يَعْرِفُونَ الْمَخْرَجَ مِنْهَا جَفَاةً فِي الدِّينِ قَلِيلَةً عَقُولُهُمْ قَدْ قَلَّدُوا أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ دِينَهُمْ، وَزَعَمُوا أَنَّ مَوَالِيَهُمْ لَهُمْ تَغْنِيهِمْ عَنِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَتَتَجَبَّهِمْ مِنْ عِقَابِ الْأَعْمَالِ إِلَى السَّيِّئَةِ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ لَا يُؤْفَكُونَ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ تَتَّبِعُونَ؟ وَأَيُّ مِنْ إِلَيْهِمْ [كَذَا] تَقْتَنُونَ؟»⁽²⁾.

وتحدّث أبو حمزة في خطبته تلك عن حزبه الإباضيّة مبينًا ما يدعون إليه ودوافعهم وراء ذلك فقال: «يا أهل المدينة ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه (ص)، والقسم بالسويّة والعدل في الرعيّة، ووضع الأخماس في مواضعها التي أمر الله بها» ثمّ يتابع أبو حمزة يصف جماعته موضحًا أهدافهم ودوافعهم وأسباب ثورتهم فيقول: «يا أهل المدينة؛ أتعلمون أنّ لم نخرج من

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - نص المرجع.

ديارنا وأموالنا أثراً ولا بطراً ولا عبثاً ولا لهوً، ولا لدولة ملكٍ نريد أن نخوض فيه، ولا لثأرٍ قديمٍ نيل منّا، ولكننا لم نرى أين الأرض قد أظلمت وعالم الجور قد ظهرت، ومصاييح الحقّ قد عطلت، وكثر الادعاء في الدين وعنف القاتل بالحقّ، وقتل القائم بالقسط وعمل بالهوى، وعطلت الأحكام، ضاقت علينا الأرض بما رحبت، وسمعنا منادياً ينادي إلى الحقّ وإلى طريق المستقيم وإلى طاعة الرحمن وحكم القرآن؛ فأجبنا داعي الله، {ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين} (الاحقاف: 32)، فأقبلنا من قبائل شتّى... فأصبحنا والله بنعمته إخواناً⁽¹⁾» وإلى ذلك (ليس هنالك شك...) هكذا يقول البروفيسور: ماك دونالد، معقفاً على خطبة أبي حمزة.. (من أنّ هؤلاء الرجال هم الممثلون الحقيقيون للنهج الإسلامي من نبعه البكر القديم، لقد ادعوا أنّهم ورثة أبي بكر وعمر فكان ادعائهم صادقاً، وقد أخلصوا النية عندما وقفوا في وجه تيار الطغيان الذي أراد للإسلام أن يكون تدبيراً علمانياً في ظل حياة الترف والطموحات الدنيوية فحلّ النزاع وانحلّ رباط الأخوة بين المسلمين لكنّ هؤلاء استبرؤوا لدينهم وقاوموا ذلك التيار الذي أراد أن ينحرف بعقيدتهم الإسلامية وأخلصوا لدينهم واتبعوا طريق الاستقامة الذي ورثوه من السلف الصالح، وهوّ الطريق الذي لا يزال خلفهم محافظاً عليه في عمان وفي شرق إفريقيا وفي الجزائر...»⁽²⁾، هذا ولعلّه من المفيد أن نذكر هنا أنّ البروفيسور ماك دونالد، وهوّ يسجل كلماته هذه لم يكن لديه من الإلمام ما يستطيع به التمييز بوضوح بين الإباضية والخوارج، والملاحظة التي لا جدال حول واقعيتها هي أنّ هذا المعنى الذي عبر عنه هذا المؤرخ يظل معنى موضوعياً حقيقياً فقط، إذا كان المعنيون به هم الإباضية.

جابر بن زيد الأزدي

1 - يراجع النص في الأصل: الغاني مثلاً.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

مؤسس المذهب الإباضي

هو أبو الشعثاء جابر بن زيد الجوفي من بني عمرو بن اليمد، وهو فرع فجيرة من قبيلة الأزد وهو من بلدة (فرق) التي تقع بين (منح) ومدينة (نزوى) في عمان⁽¹⁾، وفرق هي البلدة التي من المحتمل أن تكون مسقط رأسه، ومنها هاجر وتبعته أسرته ليقيم في درب الجوف في البصرة، وبلدة درب الجوف اسمها مشتق من اسم المنطقة التي كانت تقطنها قبيلة جابر في عمان⁽²⁾، ولقد ذكر ياقوت منطقة في عمان تعرف بمنطقة جوف الجميلة، وكان يسكنها الأزد⁽³⁾، هذا ومن المحتمل أيضاً أن عائلة جابر قد لحقت به في البصرة في رفقة جيش كونه عمان بن أبي العص لمحاربة الفرس، وكان معظم أفراد ذلك الجيش من الأزد، ووفقاً لما ذكره السامي فقد هزم الفرس، وقتل قائدهم (شاهرآك) أولئك ابن الحمرا، وتابع الجيش تقدمه حتى فاز ونزلت كتائبه في توج، ثم بعد ذلك واصلت مسيرتها حتى البصرة التي كان يحكمها الوالي عبد الله بن عامر في عهد عثمان بن عفان⁽⁴⁾، هذا ونقد أوردت بعض المصادر التاريخية بأن مقتل قائد الفرس كان على يد جابر بن حدير اليمدي⁽⁵⁾، وهو من نفس قبيلة جابر بن زيد، وهذه الافادة ترجح ضمناً ما سلف من قول بأن أفراد أسرة جابر بن زيد قد كانوا ضمن ذلك الجيش، وأنهم قد استقرؤوا في البصرة، في عهد خلافة عثمان بن عفان، والشيخ السامي يرى أن جابراً قد ولد في فرق في عمان ثم ارتحل إلى البصرة طالباً للعلم⁽⁶⁾، ولعل هذا الرأي هو محل جدال بالنظر إلى الافتراض أنه إذا كان بالفعل قد سافر فقط طالباً للعلم؛ لكان قد عاد إلى عمان ليجمع شمله بأسرته ولكنه في واقع الامر قد أشقام في البصرة واستقر فيها طيلة

-
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 5 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 6 - موضوع الإحالة غير موجود.

حياته، وحول ميلاده فقد ذكرت المصادر التاريخية تاريخين الأول سنة: 18 هـ الموافق لسنة: 639م⁽¹⁾، والتاريخ الثاني هو عام: 21 هـ الموافق لسنة: 641م⁽²⁾، هَذَا وبينما لا تتوفر أيّ معلومات عن طفولته وفترة نشأته الأولى ولا عن سيرة والديه تؤكد بعض المصادر بأنّ جابراً قد كان موجوداً في المدينة المنورة في نفس اليوم الذي يبيع فيه أبو بكر خليفة للمسلمين⁽³⁾⁽⁴⁾، وسنتابع في هذه الدراسة مسيرة تعليمه وتحصيله.

إنّ العلوم الإسلامية بفروعها المتعدّدة وأصولها المتعمقة لم تكن قد استتبّطت وتكاملت تصنيفها بعد في ذلك الوقت، من عمر جابر، فقد كانت هنالك أبجديات القراءة والكتابة في ذلك الوقت، ثمّ بدأ نور القرآن يشعّ في أوساط المسلمين الذين أقبلوا عليه حفظاً وترتيلاً إضافة إلى الاهتداء بما بدأ ينتشر من تعاليم السّنة النبوية المطهرة والاقتداء بها وصولاً إلى نبع ثقافيّ جديد بدأ على مهل ليثرى حياة المسلمين الدينيّة والاجتماعيّة، وقد تمثّل ذلك في مبدأ الفتيا الذي أسسه ورعاه الخلفاء الراشدون الأوائل والعلماء البارزون من الصحابة الذي كانوا يعلمون الناس أمور دينهم وينصرونهم بها، ومن حسن طالع جابر أنّه عاصر عدداً كبيراً من الصحابة الأجلاء، فقد أدرك سبعين منهم ممّن شهدوا بدر الكبرى، ورافقهم وتعلم على أيديهم، وأخذ عنهم الكثير من العلوم والخبار وكلّ أحاديث رسول الله (ص) التي كانت معلومة لديهم⁽⁵⁾، كما قابل السيدة عائشة أم المؤمنين مستفسراً عن سنة رسول الله (ص) وسائلاً عن الكثير ممّا كان يتّصل ببع جوانب حياتها الخاصّة⁽⁶⁾، هَذَا إلى جانب مناقشته لها حول ما استجدّ في حياة المسلمين من

-
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 3 - لا نرى لهذا الرأي أية قوّة لأنّه يتضارب مع المعلوم من حياة جابر تضارباً واضحاً. (م.ن)
 - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 5 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 6 - موضوع الإحالة غير موجود.

صروف وأحداث سياسية كان لأم المؤمنين دور رئيسي فيها⁽¹⁾، هذا وإلى جانب تلقيه العلوم عن السيدة عائشة وعبد الله بن عمر وابن مسعود وأنس بن مالك فلقد كان أستاذه الرئيسي الذي تتلمذ عليه وأكثر من ملازمته هو الصحابي عبد الله بن عباس⁽²⁾، أصغر الصحابة سنًا وأكثرهم تفقهًا في الدين وغزارة في العلم، وكان يلقب بحبر الأمة والبحر نظرًا إلى علمه الففق للقرآن وتفسيره، ولإلمامه الواسع لسنة رسول الله (ص)، ولقد كان جابر صديقًا مقربًا إليه طالبًا أثيرًا عنده⁽³⁾.

هكذا نجد أنه قد توافق مع رغبة جابر بن زيد الصادقة للعلم والتحسين وجود خيرة الصحابة العلماء ومعاصرتهم لهم، ولم يكن يدخر وسعًا ليستقي من المعين الذي لديه كيف يشاء، وهكذا ثبت تلقيه علم الحديث عن الصحابة العدول، ممن كان يلتقي بهم في البصرة والمدينة ومكة، ثم كان يغتم مناسبة الحج ليلتقي بالمزيد منهم ممن كانوا يفيدون من مختلف الانتصار الإسلامية لأداء مناسك الحج. ولقد ذكر أنه سافر بين البصرة ومكة ما لا يقل عن أربعين مرة كلها من مناسبات الحج⁽⁴⁾، ليلتقي بالصحابة من أهل الفقه وحفظة الحديث، ومما لا شك فيه أن هذا التواصل وذلك الترحال الدائب يدلّ دلالة قاطعة على رغبة جابر الجامعة وطموحه الذي لم يكن يشيه عناء للإمام لسنة رسول الله (ص) قولاً وفعلاً، وكان لا يتردد ولا يخشى أن يطول سفره لأي مكان ليجمع هذا الأثر الشريف، وذكر أنه سافر إلى ديار بني عمرو بن حزم الانتصاري في قضاء المدينة المنورة، ليسألهم عن الرسالة التي بعث بها الرسول (ص) مع أبيهم عمرو بن حزم لأهل اليمن وتعلق بموضوع الزكاة، وطلب منهم الاطلاع عليها، فأجابوه⁽⁵⁾.

فإن السعي الحثيث والعزم لا يلين من جملة ما اتصف به جابر بن زيد في حله وترحاله طالباً ودارساً للعلوم ومتلقياً من كل مصدر موثوق، وهو به

- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 5 - موضوع الإحالة غير موجود.

جعله يحيط بقدر كبير وواسع من المعرفة في علوم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والفتيا. مما جعله محل ناعة أستاذه الصحابي عبد الله بن عباس بحيازته قدراً كبيراً من العلم؛ وقد روي أن ابن عباس قال: «لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول أبي الشعثاء لأوسعهم علماً مما في كتاب الله»⁽¹⁾، ووصفه بأنه من العلماء وقيماً أنه قد اكتسب علماً واسعاً. ولا حاجة للرجوع لأي مصدر فقهي آخر بما في ذلك شخصه هو (ابن عباس) إذا ما أفتى جابر. وورد أيضاً أن رجلاً من البصرة واسمه الربيع، سأل ابن عباس عن رأيه الشرعي حول بعض المسائل بعينها فقال له: «كيف تسألونني وفيكم جابر بن زيد»، ويتفق صحابة آخرون، أمثال عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله الانصاري مع ابن عباس فيما ذهب إليه من وصف لمكانة جابر العلمية وإيماءاته عنه، وروى البخاري عن جابر أنه قال على سبيل استشعاره عظم المسؤولية من الموقف الذي يحكيه عندما كنت أؤدي الطواف حول الكعبة، قابلني بن عمر صدفة وقال لي جابر: أنت واحد من علماء البصرة، سوف يأتي الناس إليك ويستفتونك ولهذا لا تزودهم بأي حكم شرعي إلا إذا أعلن عنه صراحة في القرآن أو السنة الصحيحة، وإلا فسوف تصبح ضالاً وتقود الناس إلى الضلال»⁽²⁾.

ونذكر أيضاً أن زيد بن جبير سأل الصحابي جابر بن عبد الله الانصاري عن مسألة بعينها وبعد أن أدلى له برأيه فيها، قال له: «لماذا تسألني وأبو الشعثاء بينكم؟»⁽³⁾، ولعل هذه شهادة إضافية بأن جابر بن زيد قد كان من أبرز علماء وفقهاء البصرة، ونجد أن محمد بن محبوب قد كان من بين من أشاروا بالبنان إلى جابر مؤكداً علو مكانته العلمية، وأنه يضاهي الحسن البصري في هذا المقام⁽⁴⁾ ومن ثم كان من الطبيعي أن يصبح مفتي البصرة⁽⁵⁾، حيث أنه قد كرّس جل وقته في الفتوى إلى جانب حرصه

-
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 5 - موضوع الإحالة غير موجود.

الشديد على تدريس علم الحديث لتلامذته ولطالبي علم، وإكسابه لهم من معين تلك العلوم الدينية التي برع فيها وأجاد، وإذ تجد أن جابراً قد تنبأ مكانة رفيقه بين التابعين البارزين من أهل العلم والمعرفة المتعمقة في الدين فإن مساهمته في نقل لعلمه وتنقيفه لمن حوله من المسلمين في ذلك المجتمع الإسلامي الناشئ يمكن فهمها بوضوح من خلال آلية الدور البالغ الأثر الذي قامت به فئة التابعين الذين تلقوا العلم مباشرة عن الصحابة الأجلاء، وأخذوا عنهم المعارف التطبيقية الشاملة والمتعلقة بأمور دينهم ودنياهم، فكانوا بذلك الورثة المخلصين فهم أخلصوا في نقل تلك العلوم لطلابهم ولمن لازمهم وحسبما وردت الإشارة متكررة من أن جابراً قد لازم

ابن عباس ملازمة وثيقة، وبما أن ذلك البحر المتفقه في الدين قد عاصر الأحداث العظام التي أثارت أسباب النزاع والفرقة في ذلك المجتمع الإسلامي الحديث النشأة، ومن ثم كانت له مواقف تجاه معظم تلك التطورات، فقد استطاع جابر هو الآخر أن يرقب مسارها عن كثب، ويفهم الأسباب والدوافع ما ظهر منها وما بطن ويدرك ما وراء توجهات الأطراف المعنية بها، ولا شك في أنه قد تعلم كثيراً وهو يتابع المستجدات المتلاحقة على الساحة الإسلامية التي بدأت بالخلاف والنزاع المدني في عهد خلافة عثمان، مروراً بتطوراتها الحربية والنتهاء بهيمنة معاوية على الحكم.

هكذا لم يكن جابر وهو مقيم في البصرة وقد كانت إحدى أهم مراكز الأحداث السياسية في تلك الحقبة التاريخية (28هـ-93هـ). لم بمعزل عما كان يترى من أحداث من حوله، بل استطاع بنهجه المتميز بالذكاء والتدقيق أن يفهم فهما واقعياً مجرياتها وتطوراتها ومراميتها المعقدة، ويدرك دوافعها السياسية والدينية، ومن ثم كانت الرؤية لديه واضحة ومتكاملة الأبعاد، وعليه يمكن الإقرار بأن النتيجة الحتمية التي لا شك أن جابر بن زيد قد استجاب لمقتضياتها هي أولاً: إدراكه الفطري لمسؤولية ما قد أصبحت على عاتقه بحكم كونه رجل علم ودين، كان يرى المكانة التي أصبح على أعاليها الظلم والضلال والطغيان، وتلك التي آل إليها الحق، وما كان الرجل في مثل مكانته من التقوى والورع وقوة الإيمان إلا أن يعلم أكثر من غيره أن ميثاقه قد أخذ عنه/عليه، وأن الإصلاح وإقرار الحق ونصرة الدين هي من بنود ذلك

الميثاق، وأنَّ استشعاره لتلك المسؤولية هو امتداد طبيعي لما وهب له حياته من تعليم الناس الذين من حوله أصول دينهم وتبصيرهم ليحفظوا إيمانهم ويحقوا الحقَّ ويبطلوا الباطل. وثانياً: وترتيباً على ما تقدّم كان جابر بن زيد بصيراً بالمسار الذي اختاره لتحقيق الأهداف التي كانت تتراءى له من خلال التزامه الثابت باعتباره رجل دين على استقامة تامّة، وإنهاجه لأكثر السبل فاعلية لذلك، ومن ثمَّ اتسم سلوكه الاجتماعي الخاص والعام بالبعد عن محاور الأحداث السياسية التي عاصرها، ونأى بنفسه عن الخوض في النزاعات التي كانت سائدة، واعتمد لنفسه مساراً حذراً في علاقاته مع الحكام الأمويين، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تميز نشاطه في غضون ذلك بتوظيف كلِّ وقته لتعليم الناس وتدريبهم الفقه وأصوله وأحكامه والآراء الشرعيّة حول المسائل الدينيّة التي كانت تثار في مجالسه التعليمية.

هذا وبالنظر إلى أسلوب حياته فقد اختار جابر بن زيد أن يعيش حياة ورع وتقشف وزهد، ونستشف ذلك ممّا قاله مرّةً لمحدثيه: «سألت ربّي عن ثلاث فأعطانيهنّ، سألت نعمة مؤمنة وراحلةً صالحة ورزقاً حلالاً كفافاً يوماً بيوم»⁽¹⁾، وعن ثروته فقد قال لأصحابه: «ليس منكم رجل أغنى منّي ليس عندي درهم ولا عليّ دين»⁽²⁾ وفي سياق هذا المعنى يقول الحجاج بن عيينة: «إنَّ جابراً متعوّداً على زيارتنا في مسجدنا وفي يوم من الأيام جاء متعباً يجرُّ نعليه القديمتين وقال: مضى من أجلي سنون سنة قال: فأحببتُ فيها ونعمتُ فعلي الآن أعزُّ عليّ من ذلك إلاّ خيراً أفدّمه»⁽³⁾ ومحمّد بن سيرين قال مشيراً إلى ورع جابر: «رحم الله جابراً كان مسلماً عند الدّراهم يعني: كان ورعاً»⁽⁴⁾ هكذا يمكن تأكيد أن البساطة والتّقوى والورع قد كانت من بين الصّفات المميّزة لشخصيّة جابر وخلقه.

وكما وردت الإشارة آنفاً فإنّه ونتيجةً لمعرفة جابر الواسعة بعلم التّفسير

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - موضوع الإحالة غير موجود.

وشرح السُّنة المطهَّرة فقد أصبح شخصيَّة بارزة في هَدين المجالين ، وروايَّته لأحاديث الرِّسول روايات مقبولة على نطاق واسع، وأهل الحديث يصفونه بأنَّه ثقة⁽¹⁾، والاستثناء الوحيد لهذا الرأي هو ما ذكره الأصيلي بأنَّ روايات جابر ضعيفة، ولكن هَذا الرأي اعترض عليه ابن حجر العسقلاني⁽²⁾.

وأما حوا مجالسه الدينيَّة وما كان يدور فيها؛ فإنَّنا نشير أوَّلاً إلى أنَّه وبالإضافة إلى الحضور المنتظم لطلابه الذين كانوا يدرسون علم الحديث والفنِّيا على يديه، فقد كان يومُ تلك المجالس أناس آخرون يطلبون منه تبصيرهم بالأراء الشرعيَّة حسبما يراه في مسائل دينيَّة، بعضها كان يرد إليه⁽³⁾ في شكل أسئلة مكتوبة من أصدقاء من خارج البصرة، وثانياً لقد كانت تلك المجالس مشهودة ومشهورة ممَّا يُؤكِّدُ صحَّة تلك الصفة التي كانت تطلق على جابر من أنَّه قد كان أكثر علماء عصره تمكُّناً وبراعة في مجال الفتاوى⁽⁴⁾، هَذا وكان الكثيرون من طلابه يدوِّنون الأراء الشرعية التي كان يفتي بها، ولكن هو ميَّالاً لذلك، وعندما استبان الأمر قال معلِّقاً: (إنَّما لله يكتبون هَذه الأراء التي يمكن أن تتغيَّر غداً)⁽⁵⁾، هَذا ولمَّا لم يمكنه وقف ذلك التدوين فلقد سجل طلابه معظم آرائه وروايَّاته، وهكذا أمكن نقل تلك المعرفة للأجيال التالية من خلال قناتين: أولهما اعتمدت على التدوين الذي قام به طلاب من غير الإباضيَّة ومن بينهم عمرو بن دينار، وعمرو بن هريم، وقتادة بن دعامة السدوسي، وأيوب السخيتاني وغيرهم⁽⁶⁾.

هَذا ومن بين المؤلفات والأعمال الكتابيَّة التي اشتملت على الفتا وهي الروايت ممَّا تمَّ تدوينه عن جابر بن زيد نذكر المؤلفات التالية:

-
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 3 - كذا في الأصل ولعلَّ الصواب: «عليها».
 - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 5 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 6 - موضوع الإحالة غير موجود.

1- رواية ضُمام برواية أبي صفرة عبد الملك بن صفرة عن الربيع بن حبيب عن اهتمام عن جابر بن زيد.

2- مسند الربيع بن حبيب ويحتوي في مجمله على الأحاديث عن الربيع بن حبيب الفراهيدي عن أبي عبيدة واهتمام عن جابر بن زيد⁽¹⁾.

3- جوابات ورسائل جابر، التي اشتملت على آرائه لفقهية ممّا كان يجيب به على استفسارات بعض أصدقائه، والاتباع المريدين.

تلك هي من بين المؤلفات الباقية حتى الآن والتي كتبها إياضيّة، وإضافة إلى ذلك هنالك المؤلفات التالية:

1- كتاب النكاح ويحتوي على: آراء فقهية في مسائل الزواج، رويت عن جابر والراوي غير معروف حتى الآن، وبما أنّ هذا المؤلف يقع ضمن مخطوطات كتاب الشغار لمؤلفه: عبد الله بن عبد العزيز؛ فإن هذه الاشتمالية ترجّح احتمال كون الراوي هو نفسه راوياً للروايات التي تضمها كتاب نكاح الشغار⁽²⁾.

2- كتاب الصلاة⁽³⁾، ورواياته عن حبيب بن أبي حبيب الحرمي عن عمرو بن حريم عن جابر بن زيد⁽⁴⁾.

3- ما رواه عمرو بن دينار وعمرو بن مريم، وتضمنه الفصلان: الخامس والسادس من كتاب: أقوال قتادة، وهذه الروايات قد تناولت في معظمها أحاديث عن رسول الله (ص) بالإضافة لآراء فقهية حول: النكاح والزكاة والصلاة، وغيرها ممّا رواه قتادة عن جابر بن زيد⁽⁵⁾.

أمّا حول مؤلفات جابر بن زيد التي كتبها بنفسه، فقد ورد أنّها كانت محفوظة لدى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ثمّ آلت إلى الربيع بن حبيب، ثمّ

-
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 5 - موضوع الإحالة غير موجود.

إلى أبي سفيان محبوب بن الرحيل، ثم إلى ابنه محمد بن محبوب؛ ومنه ثم نسخها في مكة⁽¹⁾.

هذا وقد ذكر بعض المؤرخين الإباضية بأن جابر قد كتب مؤلفا ضخما تضمن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتاوي، وعرف ذلك المؤلف بديوان جابر بن زيد، ولقد كانت هنالك نسخة منه وجدت في مكتبة الخليفة العباسي: هارون الرشيد (786م-809م)، والمصادر التاريخية تشير أيضا بأن العالم الإباضي؛ نفاث (فرج) ابن نصر من جبل نفوسة، قد سعى لإعداد نسخة من ذلك الديوان وأحضرها معه، ولمّا سار إلى جبل نفوسة وللإمامة الرستمية فقد قام نفاث بإتلاف تلك النسخة حتى لا تصل إليها أيدي معارضية⁽²⁾، وفي كلّ الأحوال نجد أنّ علم التشريع عند الإباضية قد بني من أساسه على هدى الأحاديث النبوية المطهرة، ثم على الآراء الفقهية التي أفتى بها جابر معلماً لطلابه الإباضية مهتدياً في ذلك بكتاب الله، ثم بسنة رسول الله (ص)، وفي هذا الخصوص يقول أبو عبيدة: (كل صاحب حديث ليس له إمام في الفقه؛ فهو ضالٌّ، فلو لا أنّ الله تعالى؛ منّ علينا بجابر بن زيد لضللنا)⁽³⁾. أمّا عن علاقة جابر بن زيد بالإباضية فقد حاول بعض المؤرخين غير الإباضية أن يبرهنوا على عدم وجود أيّة علاقة، وأوردوا حكايات عديدة للاستدلال على أنّ جابر نفسه قد نفى أيّة صلة بالإباضية⁽⁴⁾،⁽⁵⁾ مثال ذلك: عن قتادة ودلوود بن أبي هند عن عزرة؛ أنّه قال: (قلت لجابر: إنّ الإباضية يزعمون أنّك منهم فقال: ⁽⁶⁾ إني أبرأ إلى الله منهم)⁽⁷⁾. لمّا ورد أيضاً في هذا السياق يستشهد به المؤرخون المعنيون؛ أنّ

- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 5 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 6 - على الهامش الجانبي: «نص»، وتُرد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربما للتأكد من مطابقة النصّ المقتبس مع النصّ المترجم للإنجليزية.
- 7 - ماذا تفيد هذه الروايات التي يسعى لمتناوئون للإباضية والواقع يؤكّد تمسكهم بفقه جابر واعتمادهم [كذا] آراء ومروياته سنداً للتشريع والفتوى. فهل تغيّر

هند بنت المهلب قد ذكرت بأن جابر قد كان من أهل الود المقربين لها ولأمها، وأنه كان يأمرها بأداء كل فعل يقربها من الله عز وجل، لكنه لم يدعها لتتضوي تحت لواء الإباضية⁽¹⁾.

هذا وقد كانت نتيجة التدقيق في الروايات المذكورة آنفا أن تم تصنيفها إلى مجموعات ثلاث:

1- الإشارة التي وردت عن جابر وقيل أنه ينكر فيها أي صلة بالإباضية، وفي هذا الإطار تتدرج الرواية التي أوردتها مصادر غير إباضية عن ثابت البناني وعزرة اللذين يدعيان بأن جابر قد صرح بذلك الانتكار وهو على فراش الموت؛ المصادر الإباضية قد ذكرت أن ثابت البناني قد كان في رفقة الحسن البصري عندما قام بزيارة جابر في ذلك الموقف، وكافة المصادر تثبت بأن تلك الزيارة قد تمت بناء على رغبة جابر نفسه وهو على فراش الموت كما ورد، وقد حضر إليه الحسن البصري سرًا حيث كان متخفيًا في ذلك الوقت من الحجاج، وثابت البناني هو الذي أخبر الحسن برغبة جابر، وحضرا معًا، وعندما وقفا عنده قال الحسن مخاطبًا له: (قل لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله)، فأجابه جابر: (يا أبا سعيد، يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا)⁽²⁾، (نص على الهامش)

وعن سماعه ذلك علق الحسن البصري قائلا: (هذا والله الفقيه العالم)⁽³⁾، وكافة المصادر قد اتفقت في سرورها لذلك الموقف إلى ذلك الحد، والإضافة التي قيل بأن الحسن البصري قد سأل جابر عن أهل النهر، وأيضا عن رأيه في الإباضية قد روافها ابن سعد وحده حسبما ذكر عزره وثابت البناني، وإلى ذلك فإن تلك الإضافة لا يمكن الوثوق بها لأسباب عديدة منها:

تلك الأخبار على ضعفها من الواقع شيئا؟! (م.ن)

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

أ- معظم المصادر التاريخية بما فيها مصادر غير إباضية؛ قد أوردت ملاحظات الموقف دون إشارة إلى أنَّ جابر قد تحدّث عن رأيه حول الإباضية أو أهل النهر، والبغطوري يختتم تفاصيل الحوار الذي دار بين جابر والحسن حسبما ورد أنفاً مؤكداً بأنَّ جابر لم يدلي بحديث آخر بعده.

ب- إذا كانت تلك هي آراء جابر حقيقة وفي مثل هذه المواقف الهامة؛ أليس من المنطوق بمكان أن تكون معروفة ومصلّنة قبل وقت ويفاته؟

ج- ذلك الموقف الدقيق الذي يمثل لحظات النزاع [كذا] ليس هو بالتوقيت المناسب ليُسأل فيه جابر مثل تلك الأسئلة.

(يرجى مراجعة الصيغة المترجمة من النص الانجليزي: To have been (invented by the sunni cristics of Hadita) page 41.

Please check: it is not logic to use the words الاتهام or تهمة here.

إذ أنَّ "الاتهام" سبقته أصالة جابر بن زيد بأنَّه إباضي، واقتراح أن يكون التعبير كالآتي: "إزالة صفة الإباضية عن جابر"، وذلك بدلاً من: "التبرئة جابر من الاتهام القائل بأنَّه إباضي" والأمر راجع إليكم من بعد الدكتور النامي.

أو هناك ترجمة أخرى (من أجل إخلاء جابر كونه إباضياً).

Check: Saji, page: 42.

(2)- هنالك المعلومات الواردة من جهة علماء سنيين وفيها ينفون أي صلة لجابر بالإباضية⁽¹⁾، ويبدو أنَّ ما ذهب إليه أولئك العلماء، إضافة إلى ما نسب إلى جابر من حيث إنكاره لأي انتماء له بالإباضية هي أقوال اختلقها الفقهاء السنيون أثناء تعرضهم / تتاولهم للروايات المختلفة للأحاديث الشريفة، وهدفهم من وراء ذلك أن تضل الأحاديث التي رويت عن طريق جابر مقبولة لدى السنيين، وعلى ذلك يسهل تجاوز ما هو متعارف عليه لدى

1 - إن الاختلاف في اللفظ؛ لا ينفي وقوع الحدث، من هنا كنّا نودُّ أن يكون الردُّ هكذا "لا يخفى تاريخياً أن الإمام جابر كان في مرحلة الكتمان؛ ومن ثمَّ كان يدعو إلى مبادئه الإسلامية دون إخفاء الطابع السياسي عليها. (م.ن)

غلماء الحصدِيث السنين من أن روايات الحديث عن طريق أهل (البرع) هي روايات غير مقبولة، فإن كان الراوي شيعياً أو خارجياً أو إياضياً اعتبرت روايته ضعيفة السند⁽¹⁾، وخلاصة القول ها هنا هي أن المقولة التي نسبت إلى جابر حسبما ورد ذكرها أعلاه مختلفة من قبل بعض أهل الحديث السنين لإزالة صفة الإياضية عن جابر.

ثالثاً: التصنيف الثالث للمعلومات التي وردت بهذا الشأن؛ يشتمل على الخبر الذي أوردته: هند بنت المهلب من حيث عدم دعوة جابر لها بأن تتبع مذهب الإياضية⁽²⁾، والاحتمال قائم بصحة هذا الخبر لأن جابر كان يعلمها التعاليم الإسلامية، ومفردات التمييز "إياضيون" و"إياضية" لم تكن مستعملة سائدة الاستعمال بين الإياضية الأوائل وإلى ما بعد وفاة جابر، وإنما كانوا يستعملون لفظ "المسلمون" و"جماعة المسلمين"⁽³⁾.

من ناحية أخرى يذكر ابن حجر العسقلاني على نمّة الضعفاء من أهالي ساجي بأن جابر بن زيد قد كان إياضياً⁽⁴⁾، كما نجد أن أبا الحسن الأشعري يتحدث عن معتقدات الخوارج؛ الذين يعتبر الإياضية من زمريتهم، فيقول: "هم يدعون بأن جابر بن زيد هو واحد من سلفهم"⁽⁵⁾، ولقد ذكر ابن أبي الحديد نفس الخبر⁽⁶⁾، والسؤال هنا: هل كانت هناك حركة بهذا الاسم في عهد جابر؟ وأي دور قام به جابر في تأسيسها ونشأتها؟

للإجابة على هذه التساؤلات لزماً علينا النظر في الحالة التي كان عليها المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت، حيث كان منقسماً إلى ثلاث مجموعات:

أ- الأمويون الذين كانت بأيديهم أمور السلطة ومعهم أتباعهم.

ب- الشيعة وأتباع علي بن أبي طالب.

-
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 5 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 6 - موضوع الإحالة غير موجود.

ج- المجموعة الثالثة وتنقسم إلى فرقتين:

الفرقة الأولى: وتشمل أولئك الذين امتنعوا عن المشاركة في أي نشاط أو عمل سياسي.

والفرقة الثانية: وتشمل أولئك الذين رفضوا الوقوف سواء إلى جانب الأمويين، أو إلى جانب الشيعة، وذلك استبراء لدينهم، وأرادوا حكم أنفسهم بأنفسهم، وتحديداً هؤلاء هم الناجون من معركة النهروان، وهم في الأصل أخذ أطراف المحكّمة والطرف الآخر من المحكّمة، وهم الذين رفضوا أن يحاربوا ضدّ علي، لكنّهم في الوقت ذاته أصبحوا يشكلون معارضة قوية ضدّ حكم الأمويين، هذا ومن بين الشخصيات القياديّة ممّن نجوا من معركة النهروان⁽¹⁾، أبو بلال مرداس بن حدير الذي تؤكد المصادر الإباضيّة؛ أنّه قد كان صديقاً مقرباً لجابر بن زيد⁽²⁾، وأنّه قد قام بثورته ضدّ الأمويين بموافقة جابر⁽³⁾، بينما يذكر يـخرون أنّ فكرة تلك الثورة قد كانت فكرة أبي بلال نفسه، وأنّه قد حتّ جابر بالانضمام إليه⁽⁴⁾، هذا ويمكن القول بأنّ المحكّمة من بعد موت/وفاة.

عبد الله بن وهب الراسبي قد وجد أتباعها في شخصية جابر الزعيم الطبيعي لهم، لأنّه أزدى من نفس قبيلة عبد الله بن وهب، ثمّ إنّّه قبل ذلك ورهع واسع الاطلاع والمعرفة بعلوم القرآن الكريم والسنة المطهرة، ورأيي الشخصي لم يكن جابر بن زيد إلّا رجلاً رائداً متفّقهاً في الدين، أمّا قيادته السياسيّة لجبهه معارضة فلم يكن مقدراً لها أن تكون ذات فاعلية في تلك المرحلة المبكرة من استحواذ الأمويين على زمام الأمر⁽⁵⁾، ذلك لأنّه من جهة لم تجد تلك الفرقة فرصة لتنظيم وتأسيس نفسها في هيئة حركة دينيّة

1 - موجودة على الهامش الجانبي: «OR».

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - ثحركة الإمام جابر تؤكدها أغلب المصادر الإباضيّة، ولكنها كانت في مرحلة الكتمان، وعلاقة جابر بأبي بلال أكّدها الدكتور: عمرو نامي نفسه في هذا البحث. (م.ن)

5 - موضوع الإحالة غير موجود.

سياسية تجهر بفعاليتها، ومن جهة ثانية لم يكن للأمويين أن يأذنوا بقيام وظهور أي قيادة كانت ذلك لأن إعلان أي جبهة من هذا القبيل كان سيعني ظهور خلافة جديدة، وهم قطعاً لم يكونوا ليسمحوا بذلك، وسبب آخر في هذا السياق يمكن في المفهوم الذي كان متعارفاً عليه من حيث لزومية أن تكون القيادة هي دائماً قرشية على مستوى الخلافة، والمجتمع الإسلامي ككل كان متمسكاً بذلك العرف، ولم يكن يسمح بغير ذلك، ولعلّه ولهذا السبب أثر الزعماء الأبرزون لهذه الفرقة وأن ينضموا إلى عبد الله بن عبد الزبير وأن يساندوه في معارضته للمويين على أمل أن يقبل بوجهة نظرهم وبتوجههم⁽¹⁾، ولقد كان عبد الله بن إياض من الأزرق، وهُوَ زعيم الخوارج المغالين الذين أطلقوا عليهم الأزارقة. تأتي ثورة هؤلاء كحدث مستجد على الساحة السياسية وكان من آثارها أن أحدثت تغييراً في مسلك المحكمة، وفي طبيعة علاقة جابر بها، إذ قاد جابر معارضة قوية ضد سياسة نافع وأتباعه حيث قام بانتقاد ونقض آرائه تجاه خصومهم المسلمين الذين يعتبرونهم شركين ويرون شرعية استباخة دمائهم وسبي نسائهم وهذا مما خالفهم فيه جابر بشدة، والمصادر الإباضية قد سجلت الحوار التالي الذي جرى بين جابر والحوار برواية (ضمام) الذي يقول: (2) «أليس الله قد حرّم دماء المسلمين باسم الدين؟ فيقول: "بلى". فيقول جابر: "ألم يأذن الله للمسلمين بالجهاد ببعد أن حرّم عليهم ذلك باسم الدين" فيجيبون: "بلى"، فيقول جابر: "أتحرم ولايتهم بعد الأمر بها باسم الدين"، فيقولون: "نعم". وبعد أن يعترفوا بهذا يقول جابر: "ألم يأذن الله بأي شيء بعد هذا باسم الدين" (مشيراً إلى أسر المسلمين وقتل نسائهم وأولادهم). وإلى هذا الحد لا يجيب الحوار بأي شيء ويقفون صامتين»⁽³⁾.

- 1 - هذا الرأي؛ يتعارض مع مبدأ هام عند الإباضية منذ النشأة، وهُوَ أن الإمامة للأكفاء ولا عبرة للعرف أو النسب، وإنّما إذا تساوى المرشّحون في الإمامة للكفاءة أصبحت (القرشية) مرجحة. (م.ن)
- 2 - على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربّما للتأكد من مطابقة النص المقتبس مع النص المترجم للإنجليزية.
- 3 - موضوع الإحالة غير موجود.

هنا يمكن القول بأنّه قد بدأ انقسام خطير يتفاعل في أوساط فرقة المحكّمة في هذه الفترة كنتيجة مباشرة لظهور فرقة الأزارقة وإعلان زعامتها لتلك المبادئ المتطرفة في حقّ خصومهم من المسلمين، وصولاً إلى إعلان نافع بن الأزرق إلزامية الخروج إلى القتال على أتباعه هذا ولقد كانت كل تلك الآراء والمبادئ التي أعلنها الأزارقة متعارضة تماماً مع الأسس والتعاليم التي سار عليها أهل النهروان وجماعة المحكّمة الأولى وأتباعهم من أمثال: أبي بلال مرداس وأصحابه، ولهذا كان من الضروري أن تبادل الشخصيات البارزة للمحكمة أمثال: جابر بن زيد بمعارضة السياسة نافع والآخرين ممّن انتهجوا نهجه، ومن ثمّ إعلان تلك المعارضة على الملأ قاطبة ودون استثناء لكسب تعاطفهم على أنّه تجدر الإشارة إلى أنّ من بين زعماء المحكّمة ممّن كانوا ينظرون في أمر الإنضمام إلى نافع عبد الله بن إياض الذي كان يتهياً لذلك، لكنّه - وهو يحاور نفسه داخل مسجد البصرة الجامع وإذ به ينتبه لتسييح المسيحيين ولترتيل القراء ثمّ لأذان المؤنّنين - فعدل عن رأيه وقرّر عدم الخروج⁽¹⁾، «وتمسكّ بهم شرعياً ليعيش وسطهم وليختلط بهم على وفاق يسوده التسامح والاحترام المتبادل⁽²⁾⁽³⁾، وبقي على آراء ومبادئ أهل النهروان وأتباعهم طيلة حياته، وعندما اتضحت هوية الأزارقة، وتوجههم المتطرف عارضهم بشدّة وتبرأ منهم⁽⁴⁾ وأوعز إليه جابر أن يجهر بتلك المعارضة وأن يعلن بوضوح الثوابت الحقيقية التي يؤمن بها المسلمون (الإباضيّة)، وتدحض آراء نافع وأفكاره، ونتيجة لذلك

1 - على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربّما للتأكّد من مطابقة النصّ المقتبس مع النصّ المترجم للإنجليزية.

2 - Nicholson - page: 53.

(واعتقد في إمانية المعاشية في وسطهم متبادلاً معهم القدرة على الاحتمال..) "القدرة على احتمال قمع بني أمية للمسلمين". وهذه هي الاضافة التي يتضح ويستقيم بها معنى النص، والأمر مراجع إليكم لإعادة تشكيل العبارة أو تركها على ما هي عليه.

3 - موجودة على الهامش الجانبي: أو في ترجمة أخرى (وتمسك بهم شرعياً ليعيش وسطهم وليختلط بهم على وفاق يسوده التسامح والاحترام المتبادل).

4 - موضوع الإحالة غير موجود.

الدور الموفق الذي قام به عبد الله بن غباض في تلك المرحلة سميت الحركة باسمه وعرفت بين المسلمين فيما بعد بالإباضية⁽¹⁾.

هناك العديد من الوقائع والاحداث التي ترجح أن جابر قد كان على صلة وثيقة بالحركة الإباضية ومنذ مرحلة مبكرة جداً، فقد ورد أنه اعتاد زيارة مكة وبرفقة واحد من جماعة المسلمين واسمه أبو فقّاس الأسود بن قيس، وتعوداً أن يقابلًا معاً ابن عبّاس بمكة، وفي إحدى السنوات قدم جابر منفرداً فسأله ابن عبّاس عن صاحبه، فأجابه جابر؛ بأنه سجين لدى ابن زيّاد، فسأله تالياً: «هل أبو فقّاس منهم؟»، فقال جابر: "نعم"، وسأله⁽²⁾ أيضاً: "أو ما أنت منهم؟"، فأجابه جابر: "اللهم بلى"⁽³⁾. والشماخي يضيف أن أحد كبار السن من المنتمين "الجماعة المسلمين" واسمه أبو سفيان قنبر، قد اعتقل وضرب بالسوط مائة جلدة ليدلي بمعلومات عن أي من أتباع جماعة المسلمين؛ لكنّه لم يفعل. وقال جابر: «لقد كنت قريباً منه، وكنت أنظر إلى أن يقول: هَذَا هو، فعصمه الله»⁽⁴⁾.

الخاتمة التي توضح أن جابر قد كانت له صلة مؤثرة في الحركة الإباضية، تتجلى في الأمر الذي أصدره هو لوحد من شباب الإباضية لقتل خردلة؛ وقد كان عضواً سابقاً في الحركة، وكشف عن أسماء أعضاء إباضية؛ فقتلوا على أيدي الطغاة⁽⁵⁾،⁽⁶⁾.

-
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 2 - على الهامش الجانبي: «نص»، وتُرد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربما للتأكد من مطابقة النص المقتبس مع النصّ المترجم للإنجليزية.
 - 3 - على الهامش الجانبي: «نص»، وتُرد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربما للتأكد من مطابقة النص المقتبس مع النصّ المترجم للإنجليزية.
 - 4 - على الهامش الجانبي: «نص»، وتُرد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربما للتأكد من مطابقة النص المقتبس مع النصّ المترجم للإنجليزية.
 - 5 - وأخذت / اعتبرت تلك الحادثة فيما بعد على أنها دليل فقهي عند الإباضية على وجوب قتل: "الطاعن في الدين" وهو الذي يخرج على مذهبهم من أتباعهم ويطعن في دينهم ويغشى أسرارهم.
 - 6 - موجود في الهامش الجانبي: «OR».

إلى ذلك وبعد ثورة نافع وبعض الخوارج الآخرين فإن الشخصية المميزة للفرقة التي عرفت فيما بعد بالإباضية، أو "أهل الدعوة"، أو "جماعة المسلمين" قد ظهرت بوضوح، وأصبح جابر: زعيماً لتلك الحركة.

هَذَا وبما أن لكل زعيم أو إمام سياسة ينتهجها لمسار أتباعه؛ فلننظر هنا ونتفحص في السياسة التي اختطها جابر لمسيرة الحركة الإباضية، والباحث في هذا الشأن يجد بأن هنالك أربعة خطوط رئيسية يمكن ملاحظتها:

أولاً: العمل على تقادي أية مواجهة علنية مع السلطات الحاكمة، بل انتهاج سبيل الحفاظ على علاقة ودية مع الولاة.

ثانياً: عدم عزل أعضاء الحركة للأمة.

ثالثاً: استمرار مجالس العلم ومواصلة رسالتها بتعليم الناس أمور دينهم وليتفقهوا في علم الحديث والفتيا وذلك بغض النظر عما إذا كانوا من أتباع الحركة أو من سواهم.

رابعاً: وبما أن جابر قد كان حريصاً ومهتماً بالحفاظ على سرية الحركة من خلال القيام ببعض أنشطتها في الخفاء، وأن يضل أعضاء الحركة غير معروفين لدى الحكام والولاة فقد اتخذ موقفاً متشدداً من أولئك الذين يكشفون أسماء الأتباع / الأعضاء لسلطين الجور⁽¹⁾، هذا النهج الذي اختطه جابر وحرص على تنفيذه من خلال توجيهاته التنظيمية جعل من شخصيته الإمام الأول لمذهب الإباضية الذي يرى أتباعه أن تلك الفترة من زعامة جابر مثلاً لمرحلة الكتمان التي مرت بها الحركة⁽²⁾.

هَذَا وبما أن أسلوب الكتمان قد كان من أبرز ملامح تلك المرحلة المبكرة من نشأة مذهب الإباضية؛ فإنه لم يعرف إلا القليل عن أنشطة جابر في غضون حقبة ولاية زياد بن أبي سفيان وابنه أبو عبيد الله بن زياد، وقد تميزت تلك الفترة بالقمع الذي عايشته الحركة، حيث قتل العديد من أتباعها، وقد كانوا من الأصحاب المقربين إلى جابر؛ أمثال أبي فحّاس وقنبر، ورغم

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

شدة ذلك القمع ومدّة الصارم في ذلك الوقت إلا أنّه ليست هنالك معلومات مؤكدة من أنّ جابر قد تعرّض لشيء منها، والمصادر الإباضيّة التي تناولت تفاصيل تلك المرحلة قد استشهدت على تلك الضغوط السلطوية⁽¹⁾ بقول جابر: «لم نجد أي شيء أكثر مساعدة لنا في هذا العصر (عصر ابن زياد) من الرشوة»⁽²⁾، وعليه فقد كان جابر مضطراً للمدى الذي يسمح فيه باستخدام أسلوب الرشوة لتفادي الظلم والاضطهاد ممّا كان يحقق به، وبأتباعه من قبل الحكام الطغاة.

وفي عهد الحجاج؛ استطاع جابر أن يكون علاقات طيبة معه وأن يحافظ عليها، ومن خلال معاونه يزيد بن مسلم الذي كان كاتباً للحجاج، وصديقاً مقرباً من جابر في ذات الوقت⁽³⁾، كذلك استطاع جابر أن يوطّد علاقات متينة مع بعض العائلات ذات النفوذ مثل: عائلة بني المهلب، حيث كانت بينه وبينهم علاقة نسب، ولكن الأكثر أهمية أنّه كان المعلم الديني لتلك العائلة، فقد كان يزورهم ويعلمهم أصول الدين ويأمرهم بفعل الخير والعمل الصالح⁽⁴⁾، ومن بين مكاتباته التي لا تزال باقية هنالك؛ ثلاثة جوابات وجهّها جابر إلى أفراد من هذه العائلة؛ ردّاً على كتاباتهم إليه، اثنتان أرسلها إلى عبد الملك بن المهلب، والرسالة الأخرى موجهة إلى خيرة بنت ضمرة القشيرية، زوجة المهلب، ومن خلال جواباته الأخرى نلاحظ بأنّ جابر كانت له اتصالات عديدة بشخصيات ذات نفوذ وسلطة وفي مواقع مختلفة، كان من بين تلك الشخصيات، وقد أرسل رسالة إلى جابر يسأله رأيه ليستشير به في جمع مال خراج الأرض والجزية المطلوبة دون المساس بحقوق المعنّيين بالأمر أو الخروج عن تعاليم الشرع، والرسالة التي أجاب بها النومان، تحتوي على معلومات مفيدة حول الطرق التي يجبى بها خراج الأرض، وكيف كان يصل منه إلى بيت المال مائة درهم مثلاً: من أصل

-
- 1 - على الهامش الجانبي: «نص»، وتردّد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربما للتأكّد من مطابقة النصّ المقتبس مع النصّ المترجم للإنجليزية.
 - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.

ثلاثمائة ويتغول الدهقان وتحصلوا الخراج على البقية الباقية، أمّا الشخص الآخر الذي كاتب جابر فهو يزيد بن يسار وقد أرسل موضحاً أنّه قد عيّن في أحد المناصب في عمان، ويسأل جابر في ذيل رسالته ن رأيه حول بعض المسائل⁽¹⁾، هذا ومن بين أناس آخرين من عمان كانت صلتهم موصولة مع جابر هنالك، مالك بن أسيد؛ الذي أرسل رسالة إلى جابر يخبره فيها بعرضه أن يشتري له ناقة من عمان، وقد وافق جابر على العرض حسبما يستفاد من ردّه على ابن أسيد⁽²⁾.

هذه الاتصالات الواسعة لجابر مع أصحاب النفوذ ومع العائلات الهامة، إضافة إلى مكانته وإلى التقدير الذي كان به لدى العامة جعلت الحجاج بن يوسف متيقظاً حذراً منه، وقد أراد أن يستميله إلى جانبه، فعرض عليه تولي رئاسة منصب القضاء، ولكن جابر رفض العرض⁽³⁾، واعتذر عن قبوله، والمصادر الإباضية تشير إلى أنّ جابر كان يعلن عن معارضته للحجاج في مناسبات متعدّدة، وقد ذكر بأنّ جابر قد رفض في إحدى المناسبات أن يناول الحجاج قلماً مذكّراً إيّاه بحديث رسول الله (ص)، حديث الذي يقول في ما معناه: «لعن الله الظالم ومساعديه والذين ساعدوا معيبيه ولو بتسليمهم قلماً»⁽⁴⁾، وكذلك رفض أن يوافق الحجاج حول مسألة المسح فوق الجفّين عمد الوضوء وقال: «كيف أمسح على الخفين والله يخاطبنا بنفس العضو»⁽⁵⁾.

هذا وكما ذكرنا آنفاً: اهتمام وحرص جابر على سرية الحركة حسب مقتضيات مرحلة الكتمان نجده نفسه أكثر حذراً في اتصالاته مع أصحابه وأتباعه، ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح من خلال مكاتباته، حيث طلب في

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود كذا في الأصل ولعلّ الصواب: «...».

4 - الدليل للورجلاني: 108 أ. page: 46

هذه الترجمة لتعذر [كذا] الحصول على النص الأصلي.

5 - مسند الربيع: 15-16، IV، page: 46، ابن خلفون: أجوبة، 39، ص11، ط:

دار الفتحة، بيروت.

خمس من رسائله أن تعدم ولا يبقى لها أثر، وقد ذكر السبب وراء ذلك في ثلاث منها، (أ): إذ في رسالته الموجهة للحارث بن عمرو وهو أحد أقدم الأتباع في الكوفة⁽¹⁾، كتب جابر في نيل رسالته له قائلاً: "وأعلم أنك أصلحك الله بأرض أكره أنه تذكر لي فيها اسماً فلا ترو شيئاً مما كتبت به إليك، واكتب إلي بما كانت لك من حاجة فإنني أحب رضاك وما يسرُّك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"⁽²⁾، ولعلَّ تلك الفترة قد كانت في عهد ولاية زياد ذلك لأنَّ الحارث قد توفي فترة ولاية يزيد بن معاوية.

(ب)⁽³⁾: كما كتب جابر إلى عبد الملك بن المهلب قائلاً: «أكتب إلي بما كانت لك من حاجة في سرٍّ وثقة، فإنك قد علمت الذي نحن فيه وما نتخوَّف من الذي يطلب العلل علينا فلا تعرض لذلك لأمر تهلكنا به أصلحك الله»⁽⁴⁾ (5).

هَذَا وفي رسالة أخرى يتحدَّث جابر عن بغي الأمراء، فيقول: «فإن أمر الأمراء ما قد علمت ونحن لهم هائبون يلتمسون علينا العلل»⁽⁶⁾، ممَّا ورد ذكره يُستدلُّ منه على أنَّ جابر كان يخشى بأس الحكَّام، ولذا فقد كان حذراً في مسلكه وفي تحركاته، حريصاً على سلامة تنظيم الحركة وأتباعها، ويؤكد ذلك في إحدى جواباته إلى عبد الملك بن المهلب أيضاً، حيث يعبر عن شكره لله عزَّ وجلَّ لنجاة الأخير من مقتل؛⁽⁷⁾ ويختم رسالته قائلاً: «نسأل الله القريب المجيب أن يريكم وإياناً في أموركم وأمورنا ما تقرُّبه أعيننا، ونرجو أن يكون إليه قسم به الدفاع»⁽⁸⁾ (1)، وعلى الأرجح فإنَّ كان يعني

- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 2 - جوابات جابر بن زيد: 15. page:47. رسائل الإمام جابر بن زيد، رسالته إلى الحارث بن عمرو، ص15.
- 3 - على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كُُلِّ الاقتباسات وربما للتأكد من مطابقة النص المقتبس مع النص المترجم للإنجليزية.
- 4 - ينظر رسالة الإمام جابر إلى عبد الملك بن المهلب، ص4. (م.ن)
- 5 - page: 47, Ibid: 40.
- 6 - موضوع الإحالة غير موجود كذا في الأصل ولعلَّ الصواب: «...».
- 7 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 8 - موضوع الإحالة غير موجود.

بكلماته الأخيرة شخص عن الحجاج الذي حدث نزاع بينه وبين أهل المهلب، ووجد الفرصة سانحة لاعتقالهم وسجنهم أمر بنفي جابر وأحد معاونيه، واسمه هبيرة إلى عمان⁽²⁾، ومن المحتمل جداً أن الحجاج نفذ هذا الاجراء حتى لا يكون جابر مصدر عون لآل المهلب، واتبعه بإجراء آخر، حيث أمر أيضاً باعتقال وسجن ثلاثة من قياديي الحركة الإباضية؛ هم أبو عبيدة وأبو سلامة⁽³⁾، ولقد جسدت هذه الخطوات الثلاث أول إجراء خطير من القمع والكبت لزعماء الحركة بما فيهم جابر نفسه وذلك في عهد الحجاج، ويبدو أن السبب الرئيسي وراء تغيير الحجاج لسياسته تجاه الإباضية هو النزاع الذي نشب بينه وبين آل المهلب، ولأن العلاقة قد كانت قوية بين هذه الأسرة وبين جابر كما أسلفنا القول، فقد خشي الحجاج من قيام بخطوة معاكسة لمساعدة أصدقائه، ولا يوجد مبررٌ غير ذلك يستدعي ما استجدّه من سياسة الحجاج ضدّ جابر وضدّ الحركة الإباضية، وفي كلّ الأحوال فقد استطاع أولئك نفر من آل المهلب الهروب من السجن والتجأوا إلى سليمان بن عبد الملك بدمشق فأجارهم⁽⁴⁾، أمّا بالنسبة لجابر ومن حيث اعتقاد بعض المؤرخين لوفاته في سنة: 93هـ، فمن المحتمل أنه قد عاد إلى البصرة بعد نفيه إلى عمان، ولعلّ العلاقة التي كانت قائمة بين آل المهلب من جهة وبين سليمان بن عبد الملك وأخيه الوليد من جهة أخرى قد كان لها أثر في عودة جابر إلى البصرة.

تلك كانت الخطوط العريضة لسياسة جابر ولنشاطه العام، وأهم دور قام به جابر في حياته قد تمثل في إسهامه المشهود له في مجال الفقه الإسلامي وتأسيس نظام التشريع في المذهب الإباضي.

من البديهي على المسلم الالتزام بتعلّم شيء من القرآن الكريم والسنة المطهرة ليدرك واجباته الدينية من صلاة وخلافاها، ولقد أدى تطور المجتمع

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - موضوع الإحالة غير موجود.

الإسلامي والتوسع السريع للدولة الإسلامية، إلى قيام مراكز دينية جديدة كانت محط رحال مجموعات من صحابة رسول الله (ص)، والبصرة كانت واحدة من تلك المراكز الحضرية وقد تأسست في عهد خلافة عمر بن الخطاب (ض)، ولقد أنشئت أولاً كمركز حربي وسيط ولكن سرعان ما أصبحت واحدة من عواصم الثقافة الإسلامية، في هذه المدينة حظَّ جابر بن زيد رحاله، ووجد ضالته المنشودة بوجود عدد كبير من الصحابة وهم أشدَّ همّة وأمضى عزماً لتعليم الناس دين الإسلام، وهكذا كانت ثمرة جهودهم مولد فئة جديدة هم طلابهم الذين عرفوا فيما بعد بالتابعين، وهؤلاء هم الجيل الثاني الذي ورث التعاليم الإسلامية من خلال تلقية لها من الصحابة وتبني تعليم الناس القرآن الكريم وسنة رسول الله (ص)، وجسّدوا من خلال حياتهم اليومية القدوة الخيرة للمسلم، وكان جابر واحداً من بين أولئك التابعين الأوائل بالبصرة ممن كرّسوا حياتهم لتلك المهمة، ولقد ذكرنا فيما سبق مكانته العلمية وأنه قد كان من بين أبرز العلماء الفقهاء في البصرة، وفي هذا (1) الخصوص يقول إياس بن معاوية: «أدركت البصرة وما لهم مفت يفتيهم غير جابر بن زيد» (2)، ومن المحتمل أن ذلك قد كان لفترة محدودة، إذ أن مصادر تاريخية أخرى تذكر بأن هنالك شخصيات أخرى إلى جانب جابر، قد ساهمت في حمل عبء الفتوى في البصرة، ومن بينهم: الحسن البصري وعمرو بن سلامة الجرمي وأبو مريم الحنفي وكعب بن سيود (3)، أمّا عمرو بن دينار وهو أحد طلاب جابر فقد بلغ به المدى تقديره لأستاذه أن قال عنه: «لم أحدا يملك معرفة واسعة بالفتيا من جابر بن زيد» (4).

ولعلّ تحليلًا موجزاً للطريقة التي انتهجها جابر في مضمار الافتاء بآراء فقهية سيساعد في فهم فلسفة التشريع عند الإباضية، لقد كان جابر بن زيد فقيهاً في علم الحديث، وإطلاعه الواسع في هذا المجال، واهتمامه المشهود

-
- 1 - على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربما للتأكد من مطابقة النص المقتبس مع النص المترجم للإنجليزية.
 - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.

للإحاطة بالآراء الفقهية للصحابة وبآثارهم واجتهاداتهم في مختلف المسائل كل ذلك جعل منه صاحب منهج متميز ومتمكن في العلوم الشرعية، والقاعدة التي أقام عليها جابر منهجه تنص على أن الأسس التي ينبغي أن يتبلور في إطارها رأى

(OR)

رأى شرعي/فقهى، هي أولاً: هدى القرآن، وثانياً: السنة النبوية المطهرة، ثم آراء واجتهادات الصحابة ثم بعد ذلك يأتي حكمه هو، والمصادر (OR) الثاني لآرائه الفقهية/الشرعية بعد القرآن كما هو واضح من تلك القاعدة هو السنة المطهرة، وجابر نفسه يقول: «الأمر الذي تعارضه السنة مهما كان فهو مرفوض»⁽¹⁾، ويقول أيضاً: «لا شيء من الأعمال يكون صحيحاً إذا كان معارضاً للسنة»⁽²⁾، وتتابع جابر لهذا المنهج يأتي وفقاً للقاعدة التي أرسى الصحابة الأجلاء أسسها، وأستاذه عبد الله بن عمر حذّره من أن يدلي بأي فتوى شرعية إلا إذا كان هنالك نص صريح من القرآن أو السنة المطهرة⁽³⁾، ولقد ورد بأن جابر قد قال أيضاً: «أدركت عدداً من الصحابة أكثر فتياهم حديث رسول الله (ص)»⁽⁴⁾، ثم يأتي المصدر الثالث وهو الرأي، وبهذا الشأن نجد أن جابر قد كان على قناعة من أن رأيه يأتي للضرورة متدرجاً بعد رأي الصحابة وليس قبله، وهو في كتاباته يقول: «ورأى من قبلنا أفضل من رأينا الذي نرى، لم يزل الآخر يعرف للأول؛ وكانوا أحق بذلك المهاجرين مع رسول الله (ص) والتابعين لهم بإحسان فقد شهدوا وعلموا، فالحق علينا وطء أقدامهم وتتبع أثرهم»⁽⁵⁾، ويضيف قائلاً: «فلعمري ما أنا إلا متعلم متبع آثار قد وطئت قبلي، وما عندي من ذلك ثقة ولا دلالة إلا رواية عسى أن (OR) نختلف

-
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود كذا في الأصل ولعلّ الصواب: «...»
 - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
 - 5 - موضوع الإحالة غير موجود.

فيها»⁽¹⁾، ولقد عبر عن التزامه بهذا النهج / المبدأ في جوابه إلى عنيقة/ حيث يقول: «ليس من ذلك شيء إلا ما يروي الناس عن الناس وامن [كذا] رأي عندنا فنحن في ذلك أنقص رأيا»⁽²⁾.

هَذَا وفي حيثيات القضية التي سيلي ذكرها ما يُؤكّد اتّباع جابر الوثيق للمبدأ محلّ هذا التحليل، والقضية هي قضية المرأة التي طلقها زوجها المريض، وكان رأي ابن عباس أنّه ينبغي عليها أن تنتظر حين زوال حالة الخطر المرضية عن زوجها لكي تحفظ حقها في استرداد مؤخر الصداق والإرث منه، وإن هي تزوّجت من رجل آخر قبل ذلك سنقدّ حقها في مؤخر الصداق والميراث كذلك، وبعد ملاحظته لهذا الرأي لأستاذ ابن عباس قال جابر: «ولولا قول ابن عباس في ذلك لسرّني - وإن تزوّجت - إذا عرف الضرر أن تستوجب الأمر كله مالم يذهب ميراثها»⁽³⁾، ورغم رؤيته هذه فقد نزل جابر عند رأي ابن عباس وذلك استيفاء للمبدأ المذكور وعملاً به؛ على الرغم من أنّه كان يعتقد بأنّ رأيّه في تلك المسألة هو الأفضل، وإلى ذلك يمكن القول بأنّ المصادر التي ارتكز عليها استقاء القوانين والأحكام الشرعية عند الإباضية هي القرآن الكريم والسنة والرأي، والمصدر الأخير يعمل بمقتضاه فقط عندما لا يتوفر أثر من السنة الشريفة.

وكخاتمة لهذا التحليل، وترتيباً على ما ورد ذكره يمكننا الإقرار بأنّ المدرسة التشريعية - المدرسة القانونية - المنهج التشريعي الذي / التي وضع جابر بن زيد قواعده / قواعدها قد تؤثر / تأثرت وبقدر كبير بالسنة النبوية المطهرة⁽⁴⁾، ومن بعد وفاة جابر جاء طلابه الإباضية وساروا على نفس الطريقة حيث كان التشريع عندهم يعتمد أساساً على ما ورد من الآثار

1 - page: 49, Ibid: 38. page: 49, at the bottom of the page, Jabir expressed the same principle.. etc.

2 -

check: anifah. -

رسالة الإمام جابر إلى عنيقة، ص18. Ibid: 18, page: 49, at the bottom:

3 - موضوع الإحالة غير موجود كذا في الأصل ولعلّ الصواب: «»..

4 - موضوع الإحالة غير موجود كذا في الأصل ولعلّ الصواب: «»..

لا يحيدون عنها، ويحكى أن أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة، خليفة جابر قد أتى إليه من أخبره بأن أهل عمان يجتهدون بالرأي للإفتاء في مسائل فقهية، فعلق على ذلك قائلاً: «ما نجوا من الفروج والدماء»⁽¹⁾.

في ختام هذا الباب؛ نتناول من خلال نظرة موضوعية موجزة المعلومات المتوفرة التي رصدتها المصادر التاريخية حول تاريخ وفاة جابر بن زيد، وذلك سعياً للوصول إلى الحقيقة ما أمكن ذلك؛ خاصة وأن تاريخ وفاة هذا العالم هو محل اختلاف من جهة نظر المصادر المعنية.

كتاب السير الذين اهتموا بكتابة سيرة جابر بن زيد؛ قد ذكروا خمسة تواريخ مختلفة لوفاة، فبالنسبة لأولئك الذين قالوا بأن جابر قد توفي في نفس الأسبوع الذي توفي فيه الصحابي أنس بن مالك؛ فقد ذكروا تاريخين.

التاريخ الأول: هو سنة 91هـ/79م حسب رواية ابن حبان⁽²⁾، والتاريخ الثاني هو: سنة 93هـ/711م حسب رواية الربيع بن حبيب، وابن حبيب، والبخاري، وأحمد بن حنبل، والفلاس، والبخاري، وأبو نعيم، والسالمي، وابن حبان⁽³⁾، وكل هؤلاء من علماء الحديث، ولا بد أنهم أكثر دقة عند تحديد تاريخ التقريبي لوفاة محدث، إذ أن ذلك يمثل لهم: قيمة كبرى، ترتبط بتواصل سلسلة الإسناد وبالتالي صحته.

أمّا المؤرّخون أمثال: ابن سلام، وابن سعد، والواقدي، والمسعودي، والاصمعي، وابن مداد؛ فقد ذكروا سنة: 96هـ/714م، ولكن نستطيع تحديد التاريخ الصحيح من بين هذه التواريخ المتباينة لوفاة جابر، يجب علينا أخذ الحقائق التالية في الاعتبار.

(أ) - معظم المصادر التاريخية قد أشارت إلى أنه في ليلة وفاته؛ رغب جابر في مقابلة الحسن البصري له، وقد كان الأخير في ذلك الوقت، وقد كان الأخير في ذلك الوقت متخفياً من الحجّاج، وبناء على هذه الإفادة فإن

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

وفاة جابر قد حدثت قطعاً قبل وفاة الحجاج الذي توفي سنة 95هـ/713م.

(ب)- معظم المصادر قد أشارت كذلك إلى أن جابر قد توفي قبل الصحابي: أنس بن مالك الذي قال عند سماعه خبر وفاة جابر: «اليوم مات أعلم من على ظهر الأرض»⁽¹⁾؛ هذا مع ملاحظة أن السنتين: (91هـ و 93هـ) هما اللتان يرى المؤرخون أن في إحداهما توفي مالك بن أنس.

(ج)- إبان خلافة عمر بن عبد العزيز، (99هـ-101هـ) كان للإباضية اتصال به، إذ أرسلوا إليه وفداً إباضياً في إطار محافظتهم على تلك العلاقة، والمصادر الإباضية أوردت تعليق أبي عبيدة وما أبداه من ملاحظات على نتائج لقاء الوفد المشار إليه مع الخليفة عمر بن عبد العزيز، وإلى ذلك يصعب تصديق عدم إدلاء جابر بقول أو ملاحظة على ذلك الحدث لو كان حياً، وهذه حقيقة تقيد بأنه قد توفي قبل تاريخ: 101هـ/719م، وبالتالي فإن التاريخ: 103هـ الذي حدده بعض المؤرخين هو تاريخ مستبعد، وكذلك لا مجال للنظر في التاريخ الذي أورده ابن عدي وهو سنة: 104هـ كتاريخ لوفاة جابر عليه، وبما أنه لا يمكن الجزم بالتاريخ الصحيح في مثل هذه الحالة من تباين المعلومات يظل تاريخ: (93هـ) الذي حدده علماء الحديث وأكّدت عليه المصادر الإباضية؛ هو التاريخ الذي أرى الأقرب للحقيقة والجدير بالاعتبار كتاريخ لوفاة: جابر بن زيد.

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

الباب الثالث

أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة

الإمام الثاني لمجتمع الإباضية في البصرة

(1)

1 - موضوع الإحالة غير موجود.